التّنصير ومواجهته في منطقة القبائل

أ.حكيم رحمون

جامعة مولود معمري/ تيزي وزو

مقدمة:

إنّ عصرنا الحاضر عصر إبلاغ وإعلام، ولذلك تعددت وسائل الإعلام فيه كالصحافة والإذاعة والتلفاز، وهي الوسائل المؤثرة في الجماهير سلبا أو إيجابا، إذ تعتبر السلطة الرابعة من حيث أهميتها، وقوة تأثيرها، قد يعلو شأن أمة من الأمم على غيرها إذا كانت وسائل إعلامها أقوى وأبرز، وطريقتها أذكى وأوعى، ولا شك أنّ الأمم اليوم في حاجة إلى تنشيط وتدعيم وسائل إعلامها، فالإعلام الرشيد يلقي أضواء ساطعة على ماضي الأمة وتراثها، كما أنّه يبرز الجوانب المشرقة من حاضرها، ويبين ما هي عليه أو ما تصبو إليه في المستقبل، وما نلاحظه في بلادنا عموما، وفي منطقة القبائل بصفة خاصة، أنّ الإعلام بأنواعه تروج للجوانب السلبية، وتغض البصر عن الجوانب الإيجابية ففي المجال الديني مثلا تتحدث عن المرتّدين، وعن عدد الكنائس، وعن عدد الحانات وتروج لإغراءات المسيحيين، ولا تتحدث عن الذين يدخلون في الإسلام، ولا عن عدد المساجد والزوايا، ولا عن عدد المصلين الشباب

الذين يملؤون المساجد، وتسكت عن النشاطات الثقافية الدينية التي تقام في المنطقة طوال السنة، وكلّ ذلك- سواء عن قصد أو عن غير قصد — خدمة للتنصير وترويج للمسيحية، وإعطاء صورة سيئة للمنطقة.

فلا شيء أبلغ تأثيرا من الإعلام الرشيد في الدعاية وإظهار المحاسن، أو الحث على منهاج قويم، كما لا شيء أسوء من الإعلام المضلّل الذي يقود إلى المزالق والمهالك لذا تلجأ الأمم اليوم إلى الإعلام في جلب المنافع، ودفع المضار لإبراز ما تملكه من نواحي العلم والفنون، وثقافة، وتراث، لأنّ زمان الحروب العسكرية قد انتهى، وظهرت الحروب الإعلامية، فالدول المتقدمة اعتمدت على الإعلام لبلوغ أهدافها وغاياتها.

وما نصبو إليه هو أن نوجه هذه القوة إلى خدمة الدين الإسلامي وإظهار الوجه الحسن للتراث الثقافي الإسلامي في المنطقة لا غير ذلك، والحديث عن المسيحية وبالتحديد في منطقة القبائل يؤدي بنا إلى أن نتساءل: لماذا اهتم المسيحيون بمنطقة القبائل؟ كيف لوسائل الإعلام أن تخدم التنصير في المنطقة؟ وكيف نتصدى للحركة التنصيرية؟

وسنتناول الموضوع من خلال النقاط التالية:

- سبب اهتمام المسيحيين بمنطقة القبائل.
- أهمية وسائل الإعلام لبلوغ الغاية المنشودة.
- كيفية التصدي للتنصير المسيحي، وذلك بالاعتماد على دور: الأسرة، والمدرسة، والمسجد والجمعيات الدينية، والزوايا الصيفية.

أ/اهتمام المسيحيين بمنطقة القبائل: حاول المستعمر الفرنسي منذ دخوله أرض الجزائر سنة (1830) أن يمزق شمل الوحدة الوطنية للشعب الجزائري، ولم يكتف باستعمال القوة فقط من أجل تكريس سياسته الاستعمارية، بل وظّف آليات عديدة

أخرى كدراسة المجتمع الجزائري دراسة اجتماعية، وتاريخية، ودينية، والضرب على أوتار التركيبة السكانية المشكّلة من العنصرين الأمازيغي والعربي الهادفة إلى تمزيق وتفتيت الشعب الجزائري عن طريق تكريس سياسة الأعراق المبنية على تفضيل العنصر القبائلي (الأمازيغي) وتسفيه العنصر العربي، مع إذكاء نار العداوة والبغضاء بينهم، ولذلك الغرض حاول أن يثبت أنّ هناك كيانا قبائليا منفصلا ومتميزا ومستقلا عن باقي السكان بعد أن شكوا في إسلامهم، وادّعوا أنّ المنطقة من أصل مسيحي، وكانت منطقة القبائل من أهم المناطق التي ركّز عليها المستعمر لتحقيق أغراضه المتمثلة في التنصير والفرنسة، وذلك لفقر المنطقة اقتصاديا وعزلتها إقليميا، فحاول المبشرون أن يتظاهروا بالسلم والتعايش معهم وقدّموا لهم خدمات اجتماعية كالعلاج والتعليم، وإذا بحثنا في الأسباب التي جعلت منطقة القبائل دون غيرها مسرحا لانتشار المسيحيين الجدد، والاهتمام بها كأرض خصبة لزرع أفكارهم، نجدها تنحصر في عوامل ثلاث:

1/العامل التاريخي: يستند المسيحيون في نشر أفكارهم ومعتقداتهم في الجزائر، وبالأخص في منطقة القبائل إلى تشويه التاريخ، ومحاولتهم خلق النزاعات الإقليمية، وتشجيع روح القبلية، فاعتمدوا على فكرة مفادها أنّ شمال إفريقيا من أصل لاتيني، تدين بالمسيحية منذ القدم، ودليلهم في ذلك أحد أقطاب وأشهر رجال الدين المسيحيين (سانت أوغسطين 354م-430م) الذي أكسب الكنيسة في شمال إفريقيا سمعة وهيبة "إذ ظلت أثاره وإنتاجاته الخالدة المرجع الوحيد للتدريس في جامعات أوروبا في القرون الوسطى إلى ما بعد النهضة"[1] i كما اعتبر المسيحيون الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا حركة استعمارية ومعتمدين في ذلك على

[1] عبد الرحمان بن محمد الجلالي، تاريخ الجزائر العام، ط6. بيروت: 1983، دار الثقافة، ص91.

دراسات لقادة عسكريين "التي أشادت بالعنصر الروماني المسيحي وصوّرت الفتوحات الإسلامية أنّها غزوات فرضت على البربر الإسلام بالإكراه والسيف وقطعت صلة البلاد مع الحضارة الغربية والكنيسة"[1] وتجسدت هذه الفكرة في الأدب الأوروبي والأدب الفرنسي على وجه خاص، فهم يعتبرون العنصر البربري هو الأصل في المنطقة أما العرب هم غزاة ودخلاء، إذ فرضوا لغتهم ودينهم على السكان الأصليين في المنطقة بقوة السيف، فالمنصّرون يأخذون بهذه الأفكار وحتى بعض المتطرفين من المنطقة، فغالبا ما تُرفع كشعارات في مناسبات مختلفة، وذلك ما شجّعهم على الاهتمام بمنطقة القبائل أكثر من غيرها، ويعتبرونها أكثر استعدادا لتقبل المسيحية لأنّ سكانها مضطهدو الحقوق، فمن اليسير تنصيرهم.

2/ العامل الثقافي: إنّ سكان منطقة القبائل يتكلّمون لغة تختلف عن لغة الدين الإسلامي وهي اللغة الأمازيغية، والعرب الفاتحون جاؤوا إلى شمال إفريقيا كغزاة (كما يعتبرهم بعضهم) حاولوا أن يقضوا على ثقافتهم بصفة عامة، وذلك ما حاول المنصّرون أن يغرسوه في نفوسهم، بصرف النظر عن الذين يعتبرون اللغة العربية لغة تخلف، وهي لغة عبادة لا فائدة منها، وأنّ الدولة الجزائرية لم تعترف باللغة الأمازيغية لغة رسمية واعترفت بها كلغة وطنية في الآونة الأخيرة، لهذا نجد بأنّ بعض سكان المنطقة يتحوّلون إلى المسيحية نكاية في الثقافة العربية الإسلامية التي يعتقدون أنّها استعمرت أرضهم وطمست تراثهم، ولكن أيضا نكاية في الحكومة وفي الإسلاميين المتشددين الذين حاولوا القضاء على عاداتهم وتقاليدهم الخاصة، فكثرت الاختلافات، وانقسم الناس داخل العائلة الواحدة وفي المسجد الواحد بعد أن تربوا

---

[1] خديجة قطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871) دط. الجزائر:1977، ص136.

عقودا على إسلام هادئ مسالم وغير مسيّس كما أنّ العشرية السوداء التي مرت بها الجزائر أعطت صورة سيئة عن الإسلام، وذلك ما جعل الإقبال على الدين المسيحي يزداد، كون الدين الإسلامي دين عنف وقوة (كما يزعمون) فكلّ هذه الظروف جعلت المسيحيين يهتمون أكثر بالمنطقة، بالإضافة إلى طبيعة السكان الذين يمتازون بالتفتح الفكري، والتسامح الديني، والتكيف مع ما يطرأ في محيطهم من مستجدات، وكذا حب الاختلاف والحرية في كلّ شيء، واستعمال اللغة الفرنسية أو بعض كلماتها لدى أغلبية السكان سهل عملية التواصل معهم، فلم يجدوا صعوبة في نشر أفكارهم.

3/العامل الاجتماعي: تتواجد منطقة القبائل في منطقة جبلية تفتقر إلى الأراضي الفلاحية والسكان يعتمدون على محاصيل الأشجار كالتين والزيتون، وبعض المحاصيل الأخرى التي لا تغطي حاجيات السكان، فنظرا للظروف الطبيعية الصعبة، وقلة الموارد المعيشية المحلية، جعلت سكان المنطقة يهاجرون إلى الخارج الوطن، أو إلى المدن الكبرى لكسب الرزق خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، حيث صار معظم سكان المنطقة يعيشون مما يأتي من الخارج من العملة الصعبة، لكن في الوقت الراهن تصعب الهجرة إلى الخارج وعدد السكان في قرية وأخرى في تزايد مستمر، ونسبة كبيرة من السكان فيها شباب وشبح البطالة يحدق بهم، ذلك ما جعل الشباب في هذه المنطقة عرضة للانحرافات والمساومات، خاصة أنّهم يشاهدون على القنوات المختلفة مستجدات العصر من إمكانيات العيش، وهم بعيدون عنها، كما أنّ عودة المهاجرين إلى القرى يؤثر في أنفسهم، وتولد لديهم الرغبة في الهجرة مهما كانت الوسيلة، فكلّ هذه الظرف سمحت للمسيحيين أن يجدوا منفذا لتحقيق أغراضهم، وذلك بإغراءاتهم

كالمبالغ المالية وتأشيرات السفر إلى خارج الوطن، حتى يتسن لهم تحقيق طموحاتهم، وكلّ ذلك مقابل الدخول في الدين المسيحي.

ب/ دور وسائل الإعلام: يُطلق مصطلح السلطة الرابعة على وسائل الإعلام عموماً وعلى الصحافة بشكل خاص، باعتبار الصحافة –أو وسائل الإعلام عموماً– هي رابع سلطة دستورية بعد التشريعية، والتنفيذية، والقضائية لما لها من تأثير، ويستخدم المصطلح اليوم في سياق إبراز الدور المؤثر لوسائل الإعلام ليس في تعميم المعرفة، والتوعية، والتنوير فحسب بل في تشكيل الرأي العام أو توجيهه، وتتفق اتجاهات الدّراسات الإعلامية المختلفة على مقدرة وسائل الإعلام على إحداث التغيير في قيم المجتمع، أو هوية الأُمَّة، أو إحداث تأثير في سلوك الناس ومكونات شخصياتهم، لذا يجب أن نوجّه هذه السلطة إلى خدمة الدين الإسلامي، خاصة في منطقة القبائل للحفاظ على الوحدة الوطنية، وعلى الهُوية والأصالة، فما لاحظناه أنّ وسائل الإعلام تسعى من أجل السبق واصطياد الخبر، لكن في المقابل كان إعلامها خدمة للتنصير، فإذا تحدثت عن الذين يدخلون في الدين المسيحي وعن نشاط الكنائس، وفي الوقت نفسه لا تبحث عن الذين خرجوا من هذا الدين، ولا توصل تجربتهم إلى القراء والمشاهدين، فبذلك تكون قد خدمت المسيحية بطريقة غير مباشرة، وحديث الصحف عن الإغراءات التي ينشرها المسيحيون، وتضعها عنوانا رئيسا في الصفحة الأولى، حتى أصبح الشباب يقولون: (راهم يمدوا 5 آلاف أورو والفيزا) وأصبح كلّ واحد يزيد من عنده، فبذلك ومن غير قصد خدموا التنصير بشكل رهيب، كما أنّ الحديث عن عدد الحانات والمدمنين على شرب الخمر له نصيب أيضا في مقالات الصحفيين، فمن يطلع على هذه الصحف يعتقد بأنّ في

المناطق الأخرى لا توجد مثل هذه الظواهر إلا في منطقة القبائل، وما يُؤسف له أنّ هذه الصحف ووسائل الإعلام بصفة عامة تسكت في المقابل عن عدد المساجد بحيث لا تخلو قرية منها مهما صغر حجمها وقلّ عدد سكانها، وأنّ "هناك حركة مكثفة لبناء المساجد والمدارس القرآنية، يوجد ما يربو 2000 مسجد و50 زاوية تاريخية وعشرات المدارس القرآنية والمعاهد الإسلامية بمنطقة القبائل"[1] ii ونسبة كبيرة من هذه المنشآت تبنى من قبل مساعدات وإمدادات السكان، وفيما مضى كانت أجرة الإمام تدفع بتبرعاتهم، وإذا تحدثنا عن النشاطات الدينية التي تقام في المنطقة فلا حصر لها، ونذكر منها الاحتفال بالأعياد الدينية، إذ تجتمع فيها العبادة، والدروس والمواعظ، وترتيل القرآن الكريم، والمدائح الدينية بقصائد مختلفة الأغراض، وتختتم بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وجمع التبرعات لليتامى والمحتاجين، ولا نجد ذلك في المناسبات الدينية فحسب بل نجد هذا النشاط عند افتتاح مسجد جديد، أو زاوية جديدة، أو أثناء دخول شخص ما بيتا جديدا، فهو يقوم بمثل هذا التظاهرة الدينية، وتجدر الإشارة إلى أنّ فئة الشباب تحضر بقوة في مثل هذه المناسبات، وأثناء الصلاة تجد المساجد كلّها مليئة حتى في الصلوات الخمس، وبطبيعة الحال يختلف ذلك من قرية إلى أخرى، وإذا تحدثنا عن العادات والأعراف فهي لا تبتعد عن القيم الدينية، فهذا هو الواقع الذي نودّ أن لا تتجاهله وسائلنا الإعلامية، وللأستاذ(محمد أرزقي فراد) مقال مهم بعنوان: "حجب إنجازات التنوير بجعجعة التنصير" في جريد (الشروق اليومي) حيث أعطى صورة عن بعض الأعمال الفكرية التي أقيمت في المنطقة، وحضرها شخصيا مثل: ترجمة معاني القرآن الكريم والسيرة النبوية، ونشيد

[1] www.alfajrnews.net

(طلع البدر علينا) فقال: "وأولى بالصحافة أن تسهب في التنويه بمثل هذه الأعمال الفكرية الكبيرة، التي تعد لبنات كبرى في بناء صرح الثقافة الأمازيغية بطريقة تكاملية مع العربية، من شأنها أن تقوي اللحمة بينهما". [1]

وفي الأخير يتساءل الأستاذ عن سبب التقصير الإعلامي لمثل هذه النشاطات الفكرية إذ يقول: "ورغم ازدهار النشاطات وتعدد الإنجازات الثقافية ذات صلة بالحضارة الإسلامية فإنّه – مع الأسف – لا تحظى بالتغطية الإعلامية الكافية، في حين تركز كلّ الأضواء على مهاترات المغامرين والمتطرّفين، الذين لا يمثلون إلا أنفسهم ومن كان على شاكلتهم من المغرّر بهم، فبما يفسر هذا التقصير الإعلامي؟"[2] نعم هناك تقصير إعلامي حقيقي، إذ صارت منطقة القبائل لا تذكر إلاّ أثناء الحديث عن المسيحية، وكأنها لم تكن يوما مركز إشعاع للعلم والمعرفة وخير دليل عن ذلك الزوايا الكثيرة التي نجدها قد لعبت دورا مهما ولتزال في الحفاظ على الشخصية الوطنية، ويبرز ذلك في "دورها الديني والتعليمي المتمثل نشر الإسلام رغم مضايقة الاستعمار لها، فكانت الحصن الحصين الذي لاذ به الشعب وخاصة المجتمع الريفي في وجه الاستعمار والمبشرين المسيحيين"[3] ونجد الأستاذ (محمد نسيب) في كتابه(زوايا العلم والقرآن في الجزائر) ذكر دورها ودور علماء المنطقة في التعليم ومواجهة الفرنسة

---

[1] محمد أرزقي فراد "حجب إنجازات التنوير بجعجعة التنصير" جريدة الشروق اليومي، العدد 2977، يوم 27 جوان 2010، ص23.

[2] المرجع نفسه.

[3] يسلي مقران، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل(1920–1954) بحث لنيل شهادة الماجستير الجزائر:1991، ص141.

والتنصير، إذ يقول: "إنّ في المنطقة رجال العلم، والدين والثقافة تفرغوا للتعليم والتثقيف، وتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس مختلف العلوم العربية الدينية والأدبية وواجهوا سياسة الفرنسة والتنصير، فأسسوا كثيرا من الزوايا والمساجد، والكتاتيب القرآنية في كلّ قرى وأعراش المنطقة تقريبا"[1] وأما علماء المنطقة فإنّ منطقة القبائل أنجبت أبطالا وعلماء في ميادين الفكر والثقافة، والعلوم والسياسة، وتركوا بصماتهم في الحياة العلمية والفكرية، وكان للأستاذ (محمد أرزقي فراد) مقال منشور في إصدارات المجلس الأعلى للغة العربية (منبر حوار الأفكار) بعنوان (جهود أمازيغية في خدمة العربية) حيث تحدث عن الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا إذ قال: "فأقبلوا على اعتناق مبادئه وتعلم العربية حتى صاروا ذخرا له وأقلاما لها»[2] قبل أن يذكر بعض المناطق التي أنجبت العلماء كعرش أثمنقلات وعرش أث غبري، ولو نذكر هؤلاء العلماء لطال بنا الوقت، وهذا ما نريد أن نجده في الصحف ونسمع ونشاهده في حصص تلفزيونية، وإذاعية حول تاريخ المنطقة وأعلامها حتى يتبين للذين أخطأوا حين اعتبروا المنطقة مسيحية، أو الذين يعتبرون الدين الإسلامي واللغة العربية من عوائق التقدم وأستثني في ذلك جريدة (الشروق اليومي) التي تتناول مثل هذه المواضيع بقلم الأستاذ (محمد أرزقي فراد) في صفحة عنوانها (ثاموغلي) بمعنى (رأي) الذي يُشكر على ذلك العمل القيّم الذي يقوم به، إذ أماط اللثام عن حقائق تاريخية يجهلها الكثير ونتمنى أن نجد في كلّ الصحف ركنا للثقافة حيث يخصص الحديث عن

---

[1] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دط.الجزائر:1989، دار الفكر، ص66.

[2] محمد أرزقي فراد "جهود أمازيغية في خدمة العربية" مقال منشور، دفاتر المجلس الأعلى لغة العربية الجزائر:2007، ص59 .

هذه المنطقة وأعلامها، وكل أعلام الجزائر، ولكن إذا تحدثنا عن الوقع، فلا يمكن أن ننفي وجود بعض الكنائس التي تعد بالأصابع وبعض المسحيين في بعض الجهات، ولكنها حالات شاذة والشاذ- كما يقول اللغويون- يحفظ ولا يقاس عليه فهذه الحالات تحتاج إلى علاج والنزول إلى الميدان كما نبين ذلك في العنصر التالي.

ج- كيفية مواجهة التنصير: وللتصدي للتنصير، لابد من تفعيل دور الأسرة والمدرسة والمسجد، ووسائل الإعلام، والاعتماد على الجمعيات الدينية والزوايا الصيفية:

1-الأسرة: تعتبر الأسرة أوّل المؤسسة يتعامل معها الطفل من مؤسسات المجتمع، وهي البيئة الثقافية التي يكتسب منها الطفل لغته وقيمه، وشخصيته، وتؤثر في تكوينه الجسمي والنفسي والاجتماعي والعقائدي، ويتكون المجتمع من عدد من الأفراد، وهم الذين يكوّنون المجتمع، ولو نظرنا إلى الأسرة لوجدناها هي أهّم مكونات المجتمع، ولها دور كبير في بنائه، وهي في تفاعل مستمر مع النظم الاجتماعية المختلفة، وتقوم الأسرة بتطبيع الطفل في اتجاهاته وميولاته، والاتجاه "هو مجموعة من الأفكار والمشاعر والإدراكات والمعتقدات حول موضوع ما، توجه سلوك الفرد وتحدد موقفه من ذلك الموضوع"[1] والأسرة تسهم في تميّز شخصية الطفل، وتحدد تصرفاته العامة، وهي أوّل من يعرفه بدينه، وعادات مجتمعه، ولغة، وطنه، ومكتسباته، وثقافته، وحضارته، وكيفية المحافظة عليها والاستفادة منها، كما تكوّن أفكاره الأولى، وتعلّمه كيفية التفاعل الاجتماعي، وتدربهم على الحياة الاجتماعية، كما أنّ للأب وللأم دور مهم في غرس الفضائل، والشمائل والصفات الحسنة عند الأبناء حتى ينشأ هؤلاء

[1] إبراهيم ياسين الخطيب، التنشئة الاجتماعية للطفل، ط1، عمان: 2003، الدار العلمية الدولية، ص142.

الأبناء وهم في صحة نفسية، وجسدية واجتماعية، وأخلاقية، لأنّ الأطفال يحبون تقليد أمهاتهم، وآبائهم، وأفراد الأسرة الكبار في كلّ سلوكاتهم، فلا بد من الاهتمام بهذا الجانب، وعندما تكوّن الأسرة أبناءً بهذه المواصفات، فإنّما هي تقدم للمجتمع أهم خدمة وأهم شيء، إذن تبدأ المسؤولية من الأسرة فالأسرة التي تربي أبنائها وتنمي قدراتهم، وتغرس في نفوسهم حب الخير، وحب العمل وحب الوطن، والتمسك بالأخلاق، والشمائل الإسلامية، فهي تكوّن جيلا لا تتغير شخصيته أمام المؤثرات، أما تلك الأسرة التي لا تهتم بأبنائها، ولا تعرف من يصاحبون، ولا تراقبهم في المدرسة ولا خارجها، ولا تفتش ماذا يقرؤون، وما هي هَويتهم، حتى تجدهم قد انحرفوا عن القيم الاجتماعية، واتخذوا طريقا مسدودا، فثمة يصعب أن تتحكم الأسرة في ابنها، فهو يشكل بدوره خطرا على المجتمع بكامله، فعلى الأولياء أن لا يغفلوا عن أبنائهم، ويقدّموا لهم تربية إسلامية، ويوفروا لهم الإمكانيات حتى لا يكونوا فريسة للمنحرفين، وبناء الأسرة والمجتمع يبدأ من الاهتمام بالأطفال، وتربيتهم، وتنشئتهم، تنشئة سليمة، فمهام ووظائف وأدوار الأسر تبدأ مبكرا منذ نشأتها الأولى، ومنذ إنجابها لأوّل طفل، ويقاس مدى رقي المجتمع بما لديه من ثقافة متنوعة ومتقدمة بالتربية الصالحة والطفل يحتاج إلى رعاية والديه، وهو يكتسب منهم وممن يحيطون به الخبرات والمهارات، والعادات، وقواعد السلوك التي تجعله يتلاءم مع مجتمعه، والأسرة التي لا تهتم بأطفالها هي لا تقدم للمجتمع إلاّ الشر والضرر.

2-المدرسة: تعد المدرسة الأسرة الثانية بالنسبة إلى الطفل، ونستعمل مصلح المدرسة للحديث عن المراحل التعليمية الأخرى (الابتدائي، والاكمالي، والثانوي) فالتلميذ في هذه المراحل يحتاج إلى مراقبة، خاصة لما في مرحلة المراهقة، والتلميذ يتصل

بالمعلّم وزملائه في المدرسة أكثر من اتصاله بأفراد أسرته، لهذا يجب أن يكون المعلّم قدوة في الأخلاق، والمعاملة الحسنة، وإن كان المعلّم كذلك، فإنّ التلاميذ يتأثرون بسلوكاته ويحاولون أن يقلدوه في ذلك، أما إذا كان المعلّم مدمنا على شرب الخمر، أو على التدخين مثلا، حتى وإن كان ذلك خارج المدرسة، إلا أنّ التلاميذ يعرفون كلّ صغيرة وكبيرة عن المعلّم الذي يعلّمهم، ولا ننتظر منه أن يحارب التنصير في المدرسة إذا لم تكن له أية صلة بالدين الإسلامي، لهذا يجب على مديريات التربية أن تهتم بهذا الجانب، فالمفتشون التربويون لا يقيّمون المعلّم على أداء مهامه في القسم فحسب، بل حتى في سيرته الذاتية ولِما لا تكون الأخلاق والمبادئ الإسلامية شرطا في كلّ تعيين خاصة في المرحلة الابتدائية، هذا من جانب المعلّم، أما من جانب الإدارة المدرسية، فلا بد أن تتخذ إجراءات صارمة لمحاربة التنصير في المدارس، بحيث يُطرد بصفة نهائية، أو يخضع لمجلس التأديب كلّ تلميذ يوجد بحوزته قرص مضغوط، أو كتيب، أو مطوية عن المسيحية، أما من ناحية المقررات، فوحدة التربية الإسلامية لابد أن يقدّمها معلّم متدين، ذو ثقافة إسلامية فماذا ننتظر من معلّم يعلّم وحدةً أو مادة، وهو لا يؤمن بها، أو غير مقتنع بها أصلا وغالبا ما تجده منحرفا، كما يجب إعادة النظر في الدروس المقرّرة في هذه الوحدة، حتى تناسب مستوى التلميذ وما يحتاج إليه في تلك المرحلة، وما يلاحظ على مدرسنا أيضا أنّها تفتقر إلى النشاطات الثقافية فهي تكتفي في مناسبة من المناسبات باستضافة مهرج أو سحار يقدم عروضا للضحك والترفيه فقط، فمن الضروري التكثيف من النشاطات الثقافية الهادفة كالمسرح مثلا، لأنّ للمسرح أهمية بالغة، إذ يعطي التلميذ فرصة لكي يكشف عن موهبته ويعبّر عن مشاعره، هذا من جهة ومن جهة أخرى نتخذ من هذه المسرحيات وسيلة لمحاربة التنصير، وذلك بجعل

مواضيعها تدور حول إظهار المبادئ الإسلامية كالتعاون والتسامح، وفعل الخير، والإحسان، وفي الوقت نفسه تكشف عن الأفكار المضلّلة للمنصّرين، وعن أهدافهم، كما تُقدم جوائز تحفيزية لأحسن مسرحية ولأحسن أداء، وتقام أيضا مسابقات حول الثقافة الإسلامية، وتُقدم محاضرات من قبل الأساتذة في العلوم الشرعية، أو من قبل الأئمة، ويكون ذلك خارج الدروس المقرّرة، حتى يجد التلميذ نفسه مرتاحا، ويشرح صدره للإسلام، بالإضافة إلى المكتبات، فلابد أن يكون لكلّ مدرسة مكتبة تحتوي – بالإضافة إلى الكتب العلمية الأخرى– على كتيبات ومطويات حول الثقافة الإسلامية، وتخصص حصة المكتبة في البرنامج الأسبوعي، ويرافق المعلّم التلاميذ في هذه الحصة، ويقدم لهم نصائح وتوجيهات حول طريقة البحث، وبهذه الإجراءات يجد التلميذ نفسه متشبعا بالثقافة الإسلامية، وذا مناعة قوية تحميه من كلّ فكرة تتنافى مع شخصيته، وثقافته، وذا علم مسبق بالأفكار المضللة والأهداف المكشوفة للمنصّرين، كما يجب التنسيق في الأدوار بين الأسرة والمدرسة.

3–المسجد: يعتبر المسجد المكان الذي يقصده الصغير والكبير بصفة دائمة ومستمرة فعلى الإمام أن يستغل هذه الفرصة الثمينة، ويقوم بدوره على أحسن وجه في المجتمع خاصة في منطقة القبائل، فالناس في هذه المنطقة يقدسون الإمام ويحبونه حبا كبيرا ويتنافسون على خدمته من أجل أن يبقى بينهم، لأنّ في تقاليد المنطقة يحضر في جميع المناسبات في الأفراح وفي الأحزان، فعليه أن ينشر الوعي الديني، وينصح ويفقه، كونه يستمع إليه الكبير والصغير، والمثقف وغير المثقف، وذلك بتقديم الدروس حول المبادئ الإسلامية، حول الأخلاق والمعاملة الحسنة، فالدين المعاملة، ولا يكتفي بقراءة خطبتي الجمعة لسنوات عدة، ولا يجدد في المواضيع، وهذه ملاحظة

عامة في مساجد القرى خاصةً، حتى تجد المصلين قد ملّوا منها، وغالبا ما تكون صلاة الجمعة شكلية لا غير ذلك، فإرسال الأئمة إلى منطقة القبائل لا بد أن يكون بمقاييس، لأنّ المنطقة جد حساسة وعلى الإمام أن يكون ذا ثقافة دينية واسعة، ويكون قدوة في الأخلاق والمعاملة، حتى يزيل الشكوك وسوء التقدير للدين الإسلامي، وإلا كانوا هؤلاء على شفة حفرة من نار المسيحية، وهذه الصفات نفسها التي يجب أن يمتازوا بها المصلون، فغالبا ما نجد المنصّرين يتخذون من تصرفات ومن أخلاق المسلمين مَنفذا لتجسيد أفكارهم فيتظاهرون بالأخلاق الحميدة، وبالمعاملة الحسنة للضعيف والمحتاج، وتقديم خدمات مجانية، فالفرد العادي لما يلاحظ ذلك يتبادر إلى ذهنه أنّ الدين المسيحي أفضل من الدين الإسلامي، وللقضاء على مثل هذه الأفكار لابد على مديريات الشؤون الدينية والأوقاف أن تتخذ إجراءات منها إرسال أئمة إلى المساجد الخالية، ولا تُترك لمن هبّ ودبّ، وأن يكون الإمام يتقن اللغة الأمازيغية لتيسير المهمة، كما يجب التكثيف من الندوات والمحاضرات لتحسين مستوى الأئمة ويستفيد منها المصلون، وعليها أن تخصص لكلّ مسجد مكتبة تتوفر على كتب بمختلف المواضيع، خاصة ما يتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وكذا توفير المصاحف حتى يكون في كلّ بيت المصحف، وتشجيع الإبداع والتأليف في الدروس القصيرة التي تطبع في المطويات، أو في الأقراص المضغوطة، بما أنّنا في زمن الكومبيوتر والإنترنت، وتقدم جوائز تحفيزية لأحسن عمل حتى تتحقق الأهداف المنشودة.

4-وسائل الإعلام: إنَّ تأثير وسائل الإعلام على الجمهور المتلقي عملية مستمرة متفاعلة ذات جوانب متعددة، تخضع لظروف الرسالة الإعلامية، وظروف

مستقبل الرسالة والعوامل المساعدة الأخرى اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، في التأثير على قيم المجتمع أو تغيُّر هوية الأُمَّة، وفي ظل التطور الهائل الذي وصلت إليه وسائل الإعلام وقدرتها على الاستقطاب والتأثير، فقد استغلها المنصّرون كوسيلة فاعلة في مساندة حملاتهم التنصيرية، وقاموا بتفعيل الدور الخطير الذي تلعبه الكلمة المسموعة والمقروءة في إيصال رسالتهم، وتبليغ أفكارهم إلى الأفراد والمجتمعات، فعلينا أن نستغل الإمكانيات نفسها لمواجهة التنصير ومن هذه الوسائل:

أولا – المطبوعات ووسائل الإعلام المقروءة: والواقع أن الكلمة المكتوبة هي بمثابة المنصّر الحاضر دائما، والمتسلل بسهولة في كلّ مكان وبصور مختلفة، بدءا من المنشورات التي قد لا تتعدى الصفحة الواحدة إلى الدوريات، والمجلات، والكتب، ولنشر تعاليم ديننا الحنيف نستغل هذه الوسيلة بتأليف مطويات، ومطبوعات صغيرة الحجم محدودة الكلمات، وفي الوقت نفسه بالغة المعنى، فيها شرح للعقيدة الإسلامية، وشرح الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وقصص الأنبياء، وتكون باللغات المختلفة كالإنجليزية والفرنسية، حتى بالأمازيغية ولو بالحرف العربي، وتوزع مجانا في المدارس وفي معارض الكتب حتى توصل الفكرة إلى المتلقي.

ثانيا– الإذاعات ووسائل الإعلام المسموعة: إن الإذاعات تلعب دورا مؤثرا، فهي تصل إلى كلّ بيت وكلّ ناحية، وتخاطب المثقف والأمّي على حد سواء" ومن الثابت أنّ الإذاعة تؤثر تأثيرا بالغا يزداد عمقا كلما كانت البيئة قليلة الحظ من الثقافة والتعليم كذلك كلما انخفض المستوى الاقتصادي والمعيشي للأفراد"[1]ومنطقة القبائل

[1] نوال محمد عمر، دور الإعلام الديني في تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضارية، دط. القاهرة:1984، مكتبة نهضة الشرق، ص98.

تعيش مثل هذه الظروف فيجب اتخاذ الإذاعة للتوعية الدينية، والتثقيف، ويكون ذلك بتقديم دروس في السيرة النبوية، وقصص الأنبياء متسلسلة، وكذا دروس تفسير القرآن الكريم بشكل متواصل ودروس في العقيدة، ويكون ذلك بمختلف اللغات، بأسلوب سهل ولغة بسيطة كما يجب اختيار الوقت المناسب لهذه البرامج، مثلا أن لا تكون في ساعات متأخرة من الليل أو في الوقت الذي يكون فيه الطفل في المدرسة والأولياء خارج البيت.

ثالثا–التلفاز ووسائل الإعلام المرئية: ولعل التلفاز هو الوسيلة الأكثر استقطابا في عصر الفضائيات، ودورها فاق دور الإذاعات المسموعة لما تقدّمه من مادة مرئية تتيح التأثير في عقل المشاهد ونفسيته، وتخاطب أكثر من حاسة لديه، بل وتتيح التعامل مع شرائح عريضة من الجمهور بدءا من الطفل الصغير إلى الشباب، وكبار السن، والنساء فلابد من استغلالها كوسيلة لنشر الدين الإسلامي، وذلك بتقديم الأفلام الدينية القائمة على القيم والمبادئ الإسلامية، وبرامج الأطفال كالرسوم المتحركة التي تدعو إلى الإسلام وتتجسد فيها أهم الشخصيات الإسلامية، وبطولاتها، بالإضافة إلى الإبداع في الأغاني للأطفال تحمل نفس الأفكار حتى يتسن لهم الإنشاد بها، وتقديم دروس لتعليم اللغة العربية للأميين حتى يتسن لهم فهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والتكثيف من برمجة الدروس والمحاضرات الدينية لدعاة كبار، واستضافتهم على المباشر، ولا تنحصر وسائل الإعلام المرئية في التلفاز، بل يوجد جهاز الكومبيوتر الذي يعد مشتلا للأفكار المضلّلة لعباد الصليب، فعلى الأولياء أن يكونوا حذرين على أبنائهم من هذه الوسيلة الإعلامية المغرية.

5/الجمعيات الدينية: تعتبر الجمعيات أهم وسيلة للتوعية الدينية وتعميق الثقافة الإسلامية ولهذا الغرض يجب أن تكون لكلّ مسجد جمعية دينية يؤسسها

شباب جامعيون أو مثقفون متشبعون بالثقافة الإسلامية والغيرة على الدين الإسلامي، ويكون هدفها الرئيس هو مواجهة التنصير، فهؤلاء الشباب ينزلون إلى الميدان للاحتكاك بالواقع، إذ يُسمح لهم بتقديم الدروس في المسجد بالتنسيق مع الإمام، واستضافة دعاة لتقديم محاضرات، حتى تُتاح الفرص أمام الشباب لطرح انشغالاتهم، والاستفسار عن أمور دينهم، في المدن وفي القرى، فعلى مديريات الشؤون الدينية أن تقدم الدعم المادي والمعنوي لهذه الجمعيات حتى لا يترك المجال أمام المنصّرين لزرع أفكارهم، وما يلاحظ أنّهم وجدوا الأرضية، ولا يزاحمهم أحد.

6/الزوايا الصيفية: بما أنّ هناك جامعات صيفية، ومخيمات صيفية، فمن الضروري أن تكون هناك زوايا صيفية تُفتح صيفا لمختلف النشاطات الدينية، ليس للطلبة فقط، بل للتلاميذ في الاكمالية مثلا، ويكون ذلك أثناء العطلة الصيفية، ونظرا لطولها، فالتلميذ يجدها فرصة للتعليم والترفيه في الوقت نفسه، ونقول في ذلك ترفيه، لأنّ التلميذ يغيّر المكان والجو، فهو يبتعد عن البيت لمدة زمنية قصيرة، ويجد فضاءً لم يعرفه من قبل ففي الزاوية يحفظ القرآن الكريم ويتعلّم الصلاة، وتقدم له دروس في الشريعة، بالإضافة إلى مختلف النشاطات الثقافية، فبهذه الوسيلة نُسهِم في إعطاء التربية الإسلامية للناشئة ووقايتهم من الانحرافات والآفات، وهذه من مهام الوزارة المعنية، وذلك بتجنيد الوسائل المادية والبشرية اللازمة إذا أردنا الحفاظ على الأصالة والشخصية الوطنية.

خاتمة:

إنّ مواجهة التنصير تقتضي بالدرجة الأولى وجود إرادة سياسية، والإرادة شرط لنجاح أي مشروع مهما كان، وتكون هذه الإرادة من قبل ولاة الأمور، لأنّ المواطن البسيط لا حول ولا قوة له، حتى لو يملك الإرادة في تغيير المنكر، يبقى ما يقوم به

من أضعف الإيمان، فعلى السلطات المعنية أن تتخذ إجراءات لمواجهة هذا الشبح، وحماية الشباب مما لا يحمد عقباه في الدنيا والآخرة، ومن بينها: العناية بالمناطق النائية كالقرى والمنطق المعزولة، وتوفير لهم الإمكانيات، لأنّ أغلبية السكان هم شباب، إذ رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «صفتان مغبون فيهما كثير من النّاس: الصحة والفراغ» فهاتان الصفتان تتوفر عند الشباب، فالشاب البطال الذي يتمتع بصحة جيدة، ولا يجد أين يوظف طاقته، فهو مرشح ومعرض للانحراف، إذ "يقرر علماء التربية وعلم النفس بصدد وقت الفراغ الناجم عن هذه المشكلة(البطالة) أنّ الطاقة المختزنة التي لا تجد تصريفا واستنفاذا، تكون بمثابة قنبلة موقوتة توجه إلى التدمير، والتخريب، وأعمال العنف"[1] فالشاب يحتاج إلى مال ولباس، وإذا لم يجد أين يكسب هذا المال، فمن الأكيد أنّه سيسعى للحصول عليه بطريقة أو بأخرى، فلهذه الأسباب استغل المنصّرون هذه الفرص خاصة في المناطق النائية لتقديم خدماتهم والاستحواذ عليهم، لهذا يجب التكفل بشريحة الشباب، وتوفير لهم مناصب الشغل والمرافق العامة لممارسة هَواياتهم.

وفي الأخير أقدم بعض الاقتراحات لعلّها تكون الوسيلة الناجعة في مقاومة التنصير في منطقة القبائل وفي وطننا الجزائر بصفة عامة:

اليقظة لنشاطات المنصّرين، وتكثيف المراقبة عليهم بشتى الوسائل، وتبليغ العلماء والمشايخ المختصين بكلّ ما يُكتشف في ذلك أو يُرتاب في أمره قبل فوات الأوان.

---

[1] وفيق صفوت مختار، أبناؤنا وصحتهم النفسية، دط. القاهرة: 2000، دار العلم والثقافة، ص289.

نشر العلم الصحيح بين السكان، وتوعيتهم بأمر دينهم عقيدةً، وأحكاماً، وأخلاقاً باللغتين العربية والأمازيغية، وذلك لحمايتهم من التأثر بالآخرين.

بذل الجهود لحماية الشباب والفتيات من الغزو السلوكي المنحرف المتمثل في وسائل الإعلام المتعددة، فلابد من عمل دعوي جاد يكتسح تجمعات الشباب ويربطهم بالدين ويحملهم مسئولية الدفاع عنه.

المساعدة في قيام مؤسسات طبية خيرية إسلامية تستثمر جهود الأطباء، وتعطي من وقتها ولو شيئاً يسيراً لتقديم خدمات طبية خاصة في المناطق المعزولة ويصاحب ذلك جهد دعوي للدخول في الدين الإسلامي.

إيجاد مواقع على الانترنت ومنتديات خاصة بدراسة موضوع التنصير، ومتابعته وإعداد الدراسات والتقارير بشأنه، وحفظ الوثائق المتعلقة به، وإصدار النشرات الدورية التي تلاحق كلّ جديد في هذا المجال.

القيام بمؤتمرات وملتقيات يناقش فيه موضوع التنصير من جميع جوانبه، وتقدم فيه الدراسات والبحوث والاقتراحات.

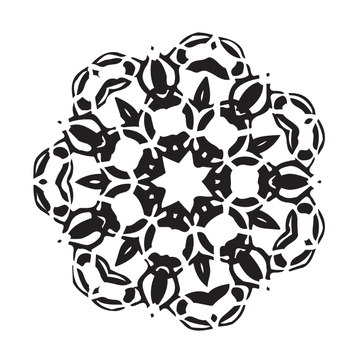
إعداد مطويات مختصرة بلغات شتى عن التنصير وخطره .

محاربة أي بضاعة تمتُّ للتنصير بصلة، أو تكون مبنية على فكرة تنصيرية كلعب الأطفال، والأدوات المنزلية أو الملابس فضلاً عن برامج الكمبيوتر والأشرطة والمواد التعليمية، وتشديد المراقبة عليها.

دعم الجمعيات التي تحارب التنصير بكافة الوسائل منها الدعم المالي، ووسائل النقل حتى تتيسر لهم المهمة.

إنشاء إذاعة وقناة دينية باللغة الأمازيغية.

أن تكون هناك إرادة سياسية حقيقية فاعلة في التنفيذ التوصيات، وترجمة المقررات والمقترحات التي تخرج بها الملتقيات والمؤتمرات حول مواجهة التنصير على أرض الواقع، حتى لا تصبح مجرد شعارات أو مجرد حبر على ورق؛ ﴿ رَبنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [1]



[1] سورة الأعراف: 126